التمييز والحفظ في التعليم

يُولدُ الطفل وليس فيهِ شيءٌ من دلائل الادراك والتعقُّل ولا يكاد يمتاز عن ادنى الحيوانات بل عن بعض انواع النبات فاذ وضع الغذي في فيهِ التقمهُ ورضعهُ كما تمتصُّ اوراق النبات وجذورهُ الغذاء من الماء والتراب ثم لا تمضي عليهِ ايام كثيرة حتَّى تظهر فيهِ قوة عقليَّة لم تكن ظاهرة قبلاً وهي التمييز بين شيء وآخر فانهُ يصير يميز امهُ عن غيرها و يعرف ما اذا كان في البيت او في الخلاء . اي ان رؤية امهِ تؤثر في نفسهِ تأثيرًا غير التأثير الذي تؤثرهُ فيهِ رؤية غيرها وهو يشعر بالتأثيرالاول والثاني و يدرك الفرق بينهما وهذا هو التمييز بعينهِ ولكنهُ ما دام على هذهِ الدرجة البسيطة لا يمتاز عن تمييز الحيوان الاعجم بل قلما يمتاز عن تمييز النبات فان الحيوان الاعجم يميز بين طعام وطعام ومكان وآخر و بين صاحبهِ وسواهُ والنبات يميز احيانًا بين الارض الخصبة وغير الخصبة فتتجه جذورهُ نحو الاولى وتبتعد عن الثانية

الاَّ ان تمييز الطفل لا يقف عند هذا الحد بل يرتقي رويدًا رويدًا بتقدمهِ في السن والمعرفة ويبقى مستعدًّا للارتقاء مدى الحياة . وقد يُظَن لاول وهلة ان البالغين متساوون في التمييز وليس الامر كذلك بل هم مختلفون اشد الاختلاف . وتمييز الانسان الواحد قد يرتقي و يزيد كل يوم ألا ترى ان الانسان اذا زاول بيع المنسوجات صار يدرك فروقًا بينها لم يكن يدركها من قبلُ . واذا زاول شرب المسكرات صار يدرك فروقًا في طعومها لم يكن يدركها من قبل . واذا اكثر من التردُّد على المكاتب او المتاحف رأى فيها كل يوم اشياء جديدة لم يرها من قبل لا لان بصرهُ لم يكن يقع عليها بل لان تأثيرها في نفسهِ كان ضعيفًا فيختلط على الذهن بغيرهِ من التأثيرات ثم بزيادة البحث والتنقيب يستفرد الذهن كل مؤثر على حدتهِ فيفرق بينهُ و بين غيرهِ وتدرك النفس ما لم تنتبه اليهِ قبلاً

ومن المشهور ان الغريب في بلاد يرى اهاليها كلهم متشابهين ولاسيما اذا كانوا من صنف غير صنفهِ كأن كان ابيض وهم سود لا لانَّ السود اشبه بعضهم ببعض من البيض بل لانهُ لا يعلم ما بينهم من المميزات التي تميز احدهم عن الآخر ولكنهُ اذا تعرَّف بهم جيدًا رأى فيهم ما لم يرهُ قبلاً من المميزات ولم يعد يلتبس عليهِ احد منهم بآخر . والداخل بين قطيع من الغنم لا يرى فرقًا بين شاة وأخرى ولكن راعي القطيع يرى فرقًا واضحًا بينها بل قد يميزها من مجرَّد صوتها

والناس يختلفون بالفطرة في قوة تمييزهم فبعضهم اقدر على تمييز المرئيات من غيره وبعضهم اقدر على تمييز المسموعات او المشمومات ولذلك يختلفون بعد ذلك في مطالبهم ونجاحهم فيها . وعلى من يتولى تعليم الصغار وتهذيبهم ان يلتفت الى قوة التمييز هذه ويربيها بقدر الطاقة

ومعلوم ان العقل لا يشتغل ولا يميز بين الاشياء المختلفة اذا كان في حال الخمول إما من فترة اعترته او من ضعف اصابه فاذا أريد ان يشتغل شغلاً عقليًا وجب ان ينبَّه من غفلته وينهض من خموله بالوسائط الصناعيَّة التي تصل اليها يد المعلم او المربي

وقد يكون العقل يقظًا منتبهًا ولكنه يكون مشتغلاً بما لا يراد اشتغاله به كما اذا خضع للاهواء فانها تصرفه عن التمييز وتطوح به الى ما لا نفع منه فلا بدَّ من كبح جماحها وتخليص العقل من سلطتها

ثم ان الاشغال العقليَّة قلما تلذُّ لمن يشتغل بها الاَّ اذا ارتاضت القوى العقليَّة وألِفت الشغل وهذا لا يكون في سن الصغر فعلى من يتولى تربية الصغار وتعليمهم ان يحرك رغبتهم في الشغل لا بما يقوي العواطف بل بما يلذ العقل نفسهُ كاكتشاف المجهولات ومعرفة العلل واظهار الفرق بين المحسوسات ورد المركبات الى بسائطها فاذا اربت الولد الصغير الفرق بين التاء والثاء وبين الجيم والحاء والخاء ثم سألته عن الفرق بين الدال والذال وبين الراء والزين وبين السين والشين وعلم ذلك من نفسه شعر كمن اكتشف اكتشافًا جديدًا وتنبهت قوة التمييز فيه الى تمييز الفرق بين بقية الحروف

ولا بدَّ من بذل الجهد لتقوية قوة التمييز وتربيتها لانها اساس كل القوى العقلية

ويعلو قوَّة التمييز قوةُ الحفظ وهي اهمُّ قوى العقل في فن التعليم وعلى تقويتها يتوقف النجاح فيه . فانهُ كلما اثَّر مؤثر في النفس انطبع اثرهُ فيها اذا كان كافيًا ليجعلها تنتبه اليه ويبقى الاثر في النفس مدةً بعد زوال المؤثر ويمكن العود اليه بعد مدة فتشعر النفس به كأنَّ المؤثر لم يزل موجودًا . فاذا رأيت مصباحًا اضاء ثم انطفأ او فارسًا مرَّ من امامك ثم ابعد عنك واختفى عن بصرك فان صورة لهب المصباح وصورة الفارس وفرسه تبقيان في النفس مدة ويمكن تذكرها بعد حين ورؤيتها بعين العقل . والغالب ان صور المؤثرات لا تنطبع في النفس من الشعور بها مرة واحدة بل لا بدَّ من تكرير الشعور مرارًا الاَّ اذا كانت قوية التأثير او كانت النفس مستعدة لها تمام الاستعداد فاذا رأيت سطرًا من كتاب مرة واحدةً لم تحفظهُ غيبًا وكذا اذا سمعت بيت شعر ولكن اذا كان في السطر حكمة رائعة او كان البيت مثالاً لبيت تعلمهُ فانك قد تحفظهُ من رؤيته او سماعهِ مرة واحدة

وكل الاساليب الحديثة التي استنبطت في علم التعليم يراد بها تقوية الحفظ وتسهيل تناول العلوم على الطلبة وحفظها في اذهانهم

ولتقوية قوة الحفظ شرائط اولها كون الانسان جيد الصحة غير منهوك من التعب ولا خامل من الكسل ولا هو بحيث يمنع ورود دمٍ الى دماغهِ . اي يجب ان يستوفي جسمهُ حقهُ من التغذية والراحة ويكون هضمهُ تامًّا ولا ينتضي تحويل الدم الى معدتهِ . ومعلوم ان عقل الانسان يكون في ساعات من النهار اقبل للتأثر والحفظ منهُ في ساعات اخرى وقد يملُّ من البحث في علم ويتبو عن حفظ شيء منهُ ولا يملُّ من علم آخر . وحفظ التأثيرات اشدُّ تعبًا على الدماغ من كل الاشغال العقليَّة فلا عجب اذا اعترى العقل الملل حالاً ولم يستطع هذا الحفظ جيدًا الاَّ اذا كان مستريحًا وكانت قوتهُ على اشدها وكان الجسم كلهُ بحيث لا يعيق عمل العقل . اما بقيَّة الاشغال العقليَّة فقد يكون متابعتها والدماغ متعب لانها لا تقتضي حفظ شيء فيهِ ولذلك نجد قوة الحفظ تضعف في الكهول والشيوخ او تزول منهم تمامًا كأن دقائق ادمغتهم تشيخ فلا تعود قابلة للتأثيرات الجديدة واما بقيَّة القوى العقليَّة فتبقى فيهم على حالها او تزيد مضاء

مكتشف اميركا

تحتفل اسبانيا وايطاليا واميركا هذا العام بتذكار خرستوفورس كولمبس مكتشف اميركا الذي ركب البحر لاكتشافها سنة ١٤٩٢ اي منذ اربع مئة سنة ففتح لاوربا دارًا رحبة للسكن والارتزاق

ولم يكن تاريخ هذا الرجل العظيم معلومًا كما يجب ولكن ارباب البحث والتنقيب بحثوا عنهُ البحث المدقق فاصلحوا كثيرًا من الخطإ الشائع وحققوا الامور الآتية وهي

كان ابو كولمبس حائكًا يحوك الصوف في مدينة جنوى وكان بيتهُ في الشارع المؤدي من باب سان اندريا الى كنيسة سان ستفانو وقد خُرِّب في عهد الملك لويس الخامس عشر ثم بني ثانيةً وهو الآن ملك لمدينة جنوى . وفي هذا البيت ولد كولمبس سنة ١٤٤٧ كما ثبت بادلة كثيرة واحترف حرفة والدهِ وهي حياكة الصوف ثم انتقل مع امهِ وابيهِ الى سافونا سنة ١٤٧٣ وشرع يسافر في البحر كتجَّار لما كان عمرهُ اربع عشرة سنة ولم ينقطع عن حرفتهِ الحياكة حين لم يكن مسافرًا